

دبلوماسية التوازن والاصطفاف:

كيف شكّل التجاذب بين القوى المغاربية مصير المغرب

الأوسط (القرنان 12 -16م)؟

Diplomacy of Balance and Alignment: How Did the Tensions Among Maghreb Powers Shape the Destiny of the Central Maghreb (12th-16th Centuries)?

موسى شرف.

-المركز الجامعي نور بشير؛ البيض(الجزائر).

- البريد الإلكتروني: m.cheref@cu-elbayadh.dz

تاريخ الإرسال: 2025/11/25؛ تاريخ القبول: 2025/11/28؛ تاريخ النشر: 2025/12/15.

الملخص:

شهدت منطقة المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط المتأخر (القرنان 12 -16م) حالة دائمة من التوتر السياسي والصراع المحوري مع حكومات الجوار المغاربي، خاصةً بني مرين، وبني حفص، وبني غانية. كان الموقع الجغرافي للمغرب الأوسط بمثابة حلقة وصل محورية سبباً رئيسياً لجعله ساحة تنافس مستمرة، مدفوعة بأطماع هذه القوى للسيطرة على الزعامة المغاربية الشاملة.

تميزت هذه المرحلة (من أواخر العهد الموحيدي حتى نهاية بني زيان) بتبادل الانتصارات والهزائم، لكن الثابت فيها هو التجاذب السياسي والتدخل الخارجي المتكرر في شؤون بلاد المغرب الأوسط

الداخلية. ونتيجة لذلك، لم يقتصر تأثير هذه الديناميكيات على الجانب العسكري والسياسي فحسب، بل امتد ليطال الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للمنطقة. يهدف هذا البحث إلى تحديد حجم ونوعية هذا التأثير، والكشف عن المجالات التي استوعبت الأثر الأكبر لهذا التنافس الإقليمي. إذا كيف أثرت ديناميكيات التجاذب السياسي والتوتر في العلاقات بين الحكومات المغاربية خلال العصر الوسيط المتأخر (القرنان 12 -16م) على الأوضاع الداخلية والمسار التاريخي لبلاد المغرب الأوسط؟

الكلمات المفتاحية: المغرب الأوسط؛ التجاذب السياسي؛ العصر الوسيط المتأخر؛ بني زيان؛ ديناميكيات القوى الإقليمية.

Abstract:

The Central Maghreb (present-day Algeria) experienced a persistent state of political tension and regional power dynamics with neighboring governments throughout the Late Middle Ages (12th–16th Centuries). Positioned as a crucial geographic link, the region became a constant arena for rivalry, driven primarily by the ambition of forces like the Marinids, Hafsids, and Banu Ghaniyya to attain overall Maghrebi leadership.

This era, spanning from the late Almohad period until the end of the Bani Zayyan rule, was defined by repeated external intervention and intense political tensions and rivalry. While military outcomes fluctuated, the sustained foreign influence profoundly impacted the Central Maghreb, extending beyond the military and political realms to significantly affect its social, economic, and cultural conditions. This study aims to quantify and characterize the extent of this impact, identifying the specific areas that

absorbed the largest consequences of this inter-regional competition.

So how did the dynamics of political tension and rivalry among the Maghrebi governments during the Late Middle Ages (12th-16th Centuries) impact the internal conditions and historical trajectory of the Central Maghreb?

keywords: Central Maghreb; Political Tensions Rivalry; Late Middle Ages Bani Zayyan; Regional Power Dynamics.

1 -توطئة: عوامل الجذب والصراع:

1.1. عوامل جغرافية واستراتيجية:

عادة ما تصنع التطورات السياسية حدود الدول والأقاليم، وذلك تبعا لحالة الدولة داخليا وسياستها الخارجية وكذا الظروف المحيطة بها، وهو ما ينطبق على بلاد المغرب الأوسط الذي لم تتضح معالمه الفعلية وحدوده الجغرافية الحقيقية إلا خلال القرن الخامس الهجري(11م) مع قيام الدولة الحمادية(أنظر التعليق رقم:1). ذلك أن موقعه وسط بلاد المغرب الإسلامي جعله عرضة للتجاذبات السياسية والعسكرية بين افريقية (تونس) من شرقه والمغرب الأقصى من غربه إلى غاية قدوم ملوك الدولة الحمادية، الذين قاموا بمد نفوذهم شرقا وغربا منذ عهد بلكين بن محمد بن حماد(أنظر التعليق رقم:2) الذي غزى المغرب الأقصى والناصر بن علناس (454 - 481هـ / 1062 - 1089م) الذي غزى افريقية وحاول ضم بعض من مناطقها(بخدة، 2018: 42 - 45).

وعلى اعتبار أن المغرب الأوسط جزء لا يتجزأ من مجال جغرافي واسع يشمل بلاد المغرب بصورة عامة، فقد اختلف المؤرخون والجغرافيون في تحديد معالمه الجغرافية وأعزوا هذا التضارب في تحديد معالمه إلى حركة العناصر الإثنية من العرب والبربر في مجاله

الجغرافيا التي كانت تدفعها للاستقرار أو تغيير المجال الكلاً والماء، فالعصبية القبلية أحد أهم العوامل المتحكمة في حدوده الجغرافية، بالإضافة إلى نفوذ القوى السياسية التي تداولت على حكمه، بين القوة تارة والضعف تارة أخرى تتجاذبها الولاءات والتحالفات، وكذا المركزية واللامركزية أي التبعية لسلطة ما، ومن هنا كانت الفكرة الجدلية التي بنيت عليها محاولات عديدة لرسم حدود قريبة من واقع بلاد المغرب الأوسط استقها المؤرخون والجغرافيون، وعلينا أن نأخذ بالحسبان أن تسمية بلاد المغرب الأوسط لم تظهر إلا في القرن الخامس الهجري على عهد ملوك دولة بني حماد (بديرة، عادل، 2018: 30)، على ما ذكرناه سابقاً.

حيث جعل الحماديون امتداد حدود المغرب الأوسط من بلاد الزاب إلى قسنطينة وما والاها من بلاد الساحل شرقاً إلى سيك وسيرات وجبل هواره (أنظر التعليق رقم: 3) من مواطن بني ومانو وبني يلومي (أنظر التعليق رقم: 4)، بالإضافة إلى ما كان قد ضمه المرابطون إلى سلطانهم من القسم الغربي من المغرب الأوسط خلال النصف الثاني من القرن الخامس الهجري (11م) (بخدة، 2018: 42-45).

غير أن هذا الامتداد وهذا المجال ما لبث أن اختفى في زمن الدولة الموحدية التي جعلت من بلاد المغرب مجالا سياسيا وجغرافيا واحداً، قبل أن يعود في النصف الثاني من القرن السابع الهجري إلى سابق عهده قبل الموحدين (بديرة، عادل، 2018: 30).

ليس من الغريب أن تختفي معالم المغرب الأوسط في زمن الموحدين بعدما سادته الدولة الحمادية، وبلغ أوج الكمال بالنسبة

لحضارات الحوض المتوسط في عهدها، لاسيما في زمن الناصر والمنصور (أنظر التعليق رقم:5)، غير أن هذه السيادة آلت للموحدين لاعتبارات كثيرة، أهمها ضعف الشوكة العصبية التي قامت عليها الدولة الحمادية في عهد حكامها المتأخرين، ومتى ضعفت الشوكة والعصبية أخذ ظل الملك يتقلص شيئا فشيئا حتى يتلاشى. وعليه فقد انحط شأن شوكة وعصبية الحماديين في عهد العزيز وابنه يحيى، وآل تدبير شؤون الدولة لأمر وزراء لا يمتون للأسرة الحمادية بصلة عرقية إطلاقا، كما كان الحال مع الوزير ابن حمدون على عهد الملك يحيى الذي كانت بينه وبين عبد المؤمن بن علي كتب ومداخلة. أما الجيش الحمادي وقتها كان خليط لا عصبية تربط بين أفراد. ناهيك عن اكتساح البلاد من طرف عرب هلال ورياح (أنظر التعليق رقم:6)، عناصر الفوضى المنافية للعمران. فكيف يا ترى تبقى شوكة الحماديين قوية تهاجم الملوك فلا تطمع في بلادهم؟ وكما طمع فيه الموحدون وتحينوا الفرصة لانقضاض على ملك الحماديين، طمع فيه أيضا النصارى، يتقدمهم روجر ملك النورمان (أنظر التعليق رقم:7) الذي تحرك بأسطوله ناحية بونة سنة 548هـ فعاث فيها الفساد، وسبى أهلها وملك ما فيها (الطمار، 2010: 137- 138).

2.1. التأثير الاقتصادي:

وللتويه فإن بلاد المغرب الأوسط لها من الأهمية الاستراتيجية والأهمية الاقتصادية ما جعلها محل أطماع قوى مختلفة كذلك داخل حدوده الجغرافية وخارجها خلال الفترة الوسيطة. فبالإضافة إلى توسطه بلاد المغرب الإسلامي، فهو أيضا حلقة وصل تربط أوروبا

والصحراء والغرب بالشرق(بن عربية، 2020: 336-348). وهو أيضا غني من حيث تنوع الغطاء النباتي ووفرة محاصيل الزراعية والثروة الحيوانية(بن عربية، 2020: 336-348)، وكثرة الأسواق ورواج التجارة، وهذا ما ذكره الرحالة والجغرافيون الذين زاروا بلاد المغرب الأوسط، ففي وصفه لهذا التنوع، يذكر الغبريني(أنظر التعليق رقم:8) في معرض حديثه عن الوضع الاقتصادي بمدينة بجاية عاصمة الحمادين أن "أسواقها زاخرة، تعج بالتجار والسلع. ولعل أشهرها سوق القيسارية، وسوق الصوف وسوق باب البحر، ويؤكد الإدريسي كلام الغبريني بقوله: "السفن إليها مقلعة والقوافل بها منحطة والأمتعة إليها برا وبحرا مجلوبة، والبضائع بها نافعة، وأهلها مياسير، تجار يجالسون تجار المغرب الأقصى وتجار الصحراء وتجار المشرق، وبها تحل الشدود وتباع البضائع بالأموال المقنطرة". كما وصفها صاحب الاستبصار في عجائب الأمصار(أنظر التعليق رقم: 9) بقوله: "وتحط فيها سفن الروم من الشام وغيرها من أقصى بلاد الروم وسفن المسلمين من الإسكندرية بطرق بلاد مصر وبلاد اليمن والهند والصين وغيرها، ...، وبها دار لصناعة لإنشاء الأساطيل والمراكب والسفن"(الطمار، 2010: 162-163).

هذا وقد تباينت خيرات المغرب الأوسط ووفرتها من إقليم لآخر حسب خصوبة التربة وتوفر المياه ورواج التجارة والأسواق، وليس المجال هنا للوقوف على كل ما كانت تزخر به بلاد المغرب الأوسط من هذه الثروات، ولكن حتى نبين أن هذه العوامل كان لها نصيبها هي الأخرى في التجاذب والصراعات التي شهدتها المنطقة في الفترة المدروسة. حيث يذكر الرحالة والجغرافيون كابن حوقل والإدريسي

أن القمح والشعير مثلاً، كان من أكثر الزراعات المنتشرة بالمغرب الأوسط نظراً لأهميتها وقيمتها الغذائية، ونظراً كذلك لسهولة زراعتها، حيث تكفي الأمطار لنموها، كما أنها تقاوم التعفن والرطوبة، بحيث يمكن تخزينها في المطامير لسنوات عديدة دون أن يعتبرها الفساد أو تغيير، وهذا ما لاحظته ابن حوقل عند زيارته إلى مدينة بونة، والإدريسي عند زيارته لقسنطينة ومدينة تنس، هذه الأخيرة يقول عنها ابن سعيد المغربي أنها مشهورة بكثرة قمحها ومنها يحمل في المراكب إلى سواحل الأندلس وغيرها (بن عربي، 2020: 335 -336). أما ابن زرع فيذكر أنه في سنة 380هـ "كان الزرع لا يوجد من يشتريه لكثرتهم وكان الحراثون يتركونه، ...، ولا يحصدونه" (جودت، د.ت: 25). ما يقال عن القمح والشعير يقال كذلك عن البقول والفواكه والزيتون والتمر والثروة الحيوانية البرية منها وبحرية، فقد اشتهرت بلاد المغرب الأوسط ببساتينها الغناء وثمارها المختلفة، فلا تجد مدينة من مدن المغرب الأوسط إلا وتزخر بالبساتين والفواكه شرقاً وغرباً شمالاً وجنوباً، والثروة الحيوانية من الماشية والدواب التي كانت تستعمل في مجالات عديدة (النقل والتجارة والحروب...) كما ساهمت في انتعاش صناعات عديدة على رأسها الصناعات النسيجية، ناهيك عن وفرة أنواع الطيور والأسماك من البحر والأنهار والأمثلة في ذلك كثيرة لا يمكن حصرها، ومن أراد أن يستزيد في هذا الموضوع ما عليه إلا العودة إلى كتب الرحالة والجغرافيين المسلمين الذين زاروا بلاد المغرب الأوسط في العصر الوسيط، فمن حديث هؤلاء يتراءى للقارئ أن بلاد المغرب الأوسط عرفت تطوراً كبيراً فيما يخص

العمران والاقتصاد الذي بلغ أوج الازدهار في عهد الدولة الحمادية، وأوائل العهد الموحيدي أيضا (الطمار، 2010: 156).

3.1. الصراع الديني والمذهبي:

لم تكن العوامل الاستراتيجية والاقتصادية وحدها عامل جذب وصراع في بلاد المغرب الأوسط، فحتى الانتماء المذهبي والديني كان محورا رئيسا في الخلافات والحروب بين قوى عديدة في المغرب الأوسط، تغذيها قوى أخرى من خارج حدوده. والجدير بالذكر أنّ حكام الدولة الحمادية كانوا سلاطين مستقلين متجافين عن ألقاب الخلافة أدبا معها، فلم يكونوا قرشيين مثل بني أمية وبني العباس ولا فاطميين ولا يمتون للسلالة الغالبة بصلة، فاقترضوا على لقب السلطان والأمير، وكانوا يخطبون لبني العباس السنيون على المنابر، وقد آثروا المذهب المالكي السني على المذهب الشيعي الإسماعيلي، هذا الأخير الذي استفحل أمره فيما مضى في القيروان وبلاد المغرب الأوسط قبل عهد المعز بن باديس (أنظر التعليق رقم: 10) (الطمار، 2010: 181 - 191).

وبانتشاره في بلاد المغرب الأوسط، المذهب الشيعي، اصطدم أيضا بالكثير من أصحاب العقائد والمذاهب الأخرى كالإباضية والصفيرية والمعتزلة، التي لم تكن هي الأخرى على توافق فيما بينها، فكانت بلاد المغرب الأوسط بحق حلقة للصراع المذهبي العقدي. وتطورت في الكثير من المناسبات إلى مواجهات عسكرية، أبرزها المواجهات الإباضية -المعتزلية، حيث احتدمت المعارك بينهما في عهد عبد الوهاب بن رستم إمام الإباضية الثاني وبين الجيش المعتزلي الزناتي بقيادة ابن سيدهم (أنظر التعليق رقم: 11)، وتكلفت بتفوق الرستميين

الإباضية على المعتزلة الواسلية بفضل المعونات والمساعدات الكبيرة التي كانت تصل الإمارة الرستمية من قبل إخوانهم في المذهب الإباضي بجبل نفوسة (أنظر التعليق رقم: 12). وبقي الصراع بين الطرفين قائماً، حتى نهايتهما وزوالهما على يد الدولة العبيدية الشعبية سنة 296هـ/908م (سبع، 2015: 95-98).

هذا وبقي المغرب الأوسط حصناً منيعاً لأهل السنة من المالكية عجز الشيعة عن اختراقه على الرغم من محاولاتهم اليائسة، فقد كان المذهب المالكي ضارباً جذوره في مجتمع المغرب الأوسط. وقد نبذ الحماديون الشيعة وفرضوا السنة على الرعية إلى أن انقرضت دولتهم (الطمار، 2010: 196).

وفي العهد الموحيدي نجد مثلاً آخر للصراع المذهبي حين أقدم المهدي بن تومرت على تأسيس مذهب توفيقى -تلفيقي ليتمكن من خلاله تجاوز الشرعية الفقهية المالكية التي حظيت بنفوذ كبير في العهد المرابطي في عموم بلاد المغرب منذ القرن 5هـ/11م، وحاول تأسيس دولة معادية للمرابطيين انطلاقاً من التركيز على إثبات مهدوية بن تومرت وعصمته، ووجوب بيعته وإتباعه ومحاربة أعدائه، وقد قام أتباعه وعلى رأسهم عبد المؤمن بن علي (524-558هـ) بالدفاع عن فكرة أستاذه المهدي بن تومرت ودعم جهاز الطلبة ليكون أداة لنشر المذهب الموحيدي العقدي (بوزيدي، 2013: 219). فقد بعثت الفكرة الدينية القائمة على التوحيد المرتكزة على المهدية، حماسة فائقة في نفوس الأتباع، تتقدمهم قبائل مصمودة التي توحدت في بوتقة واحدة حفظت ذاتية القبائل وأسلمت قيادتها في آن واحد، فبرزت الدولة الموحدية

للعلن وهيمنت بنفوذها على شمال إفريقيا، وامتدت من طرابلس شرقا إلى المحيط غربا ومن الصحراء الإفريقية جنوبا إلى جبال الشارات في الأندلس شمالا، ونعمت بالاستقرار والازدهار ففاقت ما سبقها من دول المغرب خلال العصر الوسيط عظمة ونفوذ(عز الدين، 1983: 67).

بالمجمل وفي هذا الموضوع بالتحديد يمكن القول أن بلاد المغرب الأوسط توافدت عليها الكثير من المذاهب العقدية المخالفة للسنة، واستطاعت الانتشار جميعها والاستقرار على أراضيها وأراضي بلاد المغرب الإسلامي عامة، وتمكنت من تأسيس كيانات سياسية باستثناء المذهب العقدي الواسلي، وتفاوتت الدول التي أسستها هذه المذاهب من حيث القوة والنفوذ، وكانت السيطرة في الأخير للمذهب السني المالكي(سبع، 2015: 243). وهذا يؤكد أيضا أن هناك تداخل كبير بين البعد السياسي والمذهبي والطموح الشخصي والخلفية القبلية، وليست مجرد نزاعات مذهبية فقط. وبرز الصراع محمومًا بين أطراف النزاع ممن ذكرناهم من أجل السيادة على المجالات البالغة الأهمية يتقدمها المجال الاقتصادي(بوزيدي، 2013: 227 -228).

2 -تداعيات انهيار دولة الموحدين على المغرب الأوسط:

قامت دولة الموحدين بالمغرب الإسلامي على أنقاض دولة المرابطين خلال الفترة الممتدة ما بين (515هـ -674هـ/1121 -1275م) وسطع نجمها في العالم الإسلامي، فكانت الدولة الوحيدة التي تمكنت من توحيد بلاد المغرب تحت رايتها سياسيا وفكريا (مبارك، 2017: 95).

استمرت دولة الموحدين في عز ازدهارها حتى نهاية القرن السادس الهجري(12م) ومطلع القرن السابع(13م)، وبعدها دب فيها الضعف ومالت إلى الأفول منذ عهد الخليفة الناصر لاعتبارات عديدة ليس المجال هنا لذكرها(عز الدين، 1983: 77).

أما ما ترتب عن ضعف الموحدين من تداعيات نذكر تمرد بنو غانية حكام ميورقة، وخلعهم لطاعة الموحدين واستيلائهم على بجاية سنة 581هـ/1185م، ثم هزيمة الموحدين في معركة العقاب بالأندلس سنة 609هـ/1212م، وتوسع دائرة التمرد والثورات وبروز النزعات الاستقلالية في عهد الخليفة الموحي المنتصر يوسف بن الناصر(عامر، 2003: 63- 71) أبرزها انفراد الولاة الأقاليم المغاربية التابعين للموحدين بالحكم بعد ثورات وانقلابات، مارسوا ما سماه الماوردي (أنظر التعليق رقم: 13) بإمارة الاستيلاء(عز الدين، 1983: 77). وأسفر ذلك عن خضوع بلاد المغرب الإسلامي لسلطة هؤلاء الولاة، فظهرت على إثر ذلك حكومات واهية في بلاد المغرب والأندلس وكادت هذه الحكومات تلفظ أنفاسها الأخيرة: فبنو حفص في تونس كانوا يحكمون، نظريا، البلاد التونسية وطرابلس الغرب، ومنهم فرع يحكم شرق البلاد الجزائرية (بجاية وقسنطينة والزاب)، وبنو مرين يحكمون المغرب الأقصى إلى مدينة وجدة، وبنو زيان التلمسانيون يحكمون، نظريا، ما بين ذلك، وفعليا لا يحكمون إلا تلمسان وضواحيها وساحل البحر المتوسط إلى مقربة من مدينة الجزائر. أما بقية البلاد الوسطى والجنوبية فكانت إمارات قبلية عديدة تشمل مشيخة مدينة الجزائر

(وإمارة كوكو) التي يحكمها ابن القاضي، وهي القسم الغربي من جبال القبائل الكبرى (المدني، 2009: 83).

أما القسم الشرقي من تلك الجبال، فتحت إمرة الأمير عبد العزيز الحفصي، يحكمها من عاصمته "قلعة بني عباس"، وإمارات أخرى واهية تقسم المنطقة الوسطى من بلاد المغرب الإسلامي فيما بينها ولا تدين بالولاء لأحد (المدني، 2009: 83).

وكان من تبعات هذا الانقسام، تلك الأزمات الحادة التي عاشتها بلاد المغرب الإسلامي عامة والأوسط خاصة، بعد انتشار قبائل بني هلال وبني سليم البدوية في شمال إفريقيا، وتأثيرهم السياسي والاقتصادي والديمقراطي وانحلال العصبية البربرية، وانتشار الطاعون الذي فتك بعدد كبير من السكان (خير، 1999، 2000: 5). أضيف إلى ذلك الأعداد الكبيرة من مسلمي الأندلس التي زحفت إلى هذه المناطق، فكان من الضروري أن تبحث لها عن الوسائل الملائمة للاستقرار (الصلابي، د.ت: 268). بعد أن استولى الإسبان على قواعد الأندلس قاعدة بعد أخرى، فسقطت قرطبة سنة 633هـ/1236م، وإشبيلية سنة 648هـ/1258م ومرسية 668هـ/1269م. ولم يبق حينها للمسلمين إلا سواحل البحر من بلاد الأندلس، فجاء المرينيون وكان عليهم مواجهة الزحف الإسباني الذي أوشك أن يصل إلى شواطئ المغرب الأقصى (عز الدين، 1983: 69).

وبالفعل فإن هذا الوضع المتدهور مكن الإسبان أيضا من الاستيلاء على عدد هام من النقاط الحصينة على طول سواحل المغرب

الأقصى والمغرب الأوسط، كما أرغموا الحفصيين في تونس على الخضوع لهم (ياغي، 1998: 77).

3- أطماع بنو غانية في المغرب الأوسط وصراعهم مع الموحيدين:

كانت غرناطة آخر معاقل المرابطين في الأندلس والذي صمد أمام ضربات الجيوش الموحدية (هرياش، د. ت، 123). وكان ابنا غانية يحي ومحمد ولاة لعلي بن يوسف المرابطي على بعض ولايات الأندلس وبخاصة قرطبة، ففشلا في الاحتفاظ بها وفر محمد إلى ميورقة، وكان بنو غانية موالين للمرابطين على نهجهم في ولأئهم لبني العباس من الدعاء لهم على المنابر (عز الدين، 1983: 100).

وخلال ثلاثين سنة من حكمهم بهذه المناطق تمكنوا من تحصين إمارتهم وتقوية جيوشها وأسطولها، كما استقبلوا بها فلول المرابطين الفارين من الأندلس والمغرب. فتحوّلت تلك الجزر إلى مملكة مرابطية مستقلة يحكمها بنو غانية (هرياش، د. ت، 123).

هذا وقد اتخذ المرابطون من ميورقة مركزا لتجميع شتاتهم لاسيما في عهد أبو اسحاق بن محمد بن غانية، هذا الأخير كان على علاقة طيبة مع الموحيدين، لكن دون أن يبايعهم، فتوجسوا منه وأرسلوا إليه في أواخر أيام أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن الموحيدي طالبين منه الدعاء لهم ومحذرين، منذرين في الوقت نفسه (عز الدين، 1983: 100). يقول صاحب الدراية: "وكان إسحاق بن غانية بجزيرة ميورقة هو وبقية الملتونيين، فوجه له من مراکش من قبل خليفته من يطلبه بالبيعة والدخول تحت الطاعة، فامتنع من ذلك." (الغريبي، 1979: 46).

وبوفاة أبي إسحاق سنة 579هـ/1189م خلفه ابنه علي الذي تحين فرصة وفاة الخليفة أبي يعقوب يوسف الموحي بالأندلس ليغدر بالموحدين ويغير على بجاية سنة 580هـ/1184م على حين غفلة من حاكمها(عز الدين، 1983: 100). بعدما شعر بالخطر الموحي يهدد مملكتهم من كثرة الاستفزازات الموحية التي طالتهم. وبذلك أعلن الحرب على الموحيين في المغرب الأوسط وإفريقية وجزر البليار الشرقية إلى غاية سنة 633هـ/1237م(هرياش، د.ت، 123).

ظنّ بنو غانية أنّ خلافة المنصور الموحي ستغرق أبناء عبد المؤمن بن علي في مشاكل داخلية، فصدق حدسهم ودخلوا بجاية في يسر في غياب تام لكل مقاومة(عز الدين، 1983: 68). وتشير بعض الدراسات أن أعيان من بجاية ممن كانوا مواليين لبني غانية كانت بينهم مراسلات سرية، وكان فحواها خلوا بجاية من أي مقاومة وأنهم مستعدون للتعاون(غرداين، 2015: 82). بحيث كانت السفن التجارية بين بجاية وميورقة تسيير بانتظام وكانت عيون علي بن غانية تصله من خلالها بالأخبار. وبلا شك فإن بني حماد أصحاب بجاية وأمرائها السابقون الذين قضى الموحدون على ملكهم كانت لهم يد في هذا الهجوم(طويلب، 2017: 109).

ويذكر صاحب الأنيس المطرب أن: "هجوم ابن غانية على مدينة بجاية كان وقت صلاة الجمعة في السادس من شعبان 580هـ الموافق لـ 13 نوفمبر 1184م والناس في الصلاة، وكانت أبواب المدن قبل ذلك لا تسد يوم الجمعة، فارتقب الناس حتى أحرموا للجمعة، فدخل عليهم المدينة وقصد الجامع الكبير، فأدار به الخيل والرجال، فمن بايعه

خلا سبيله، ومن توقف عن بيعته قتل، فأقام بها سبعة أشهر ثم استرجعت من يده..." (ابن أبي زرع، 1972: 269).

وعن هذا الهجوم يذكر الغبريني: "كانت البلدة (بجاية) شاغرة من الجيش، فتلقاهم الناس على عادة تلقيهم لأجل السبي، فنزلت الخيل معدة ولما وصلت له مستعدة، والناس ما عندهم من شأنهم خبر، فطلعوا على جبل الخليفة ودخلوا من باب "اللوز" إلى قصبة البلدة وتملكوا البلد... وطلبوا الناس بالبيعة فبايعوهم" (الغبريني، 1979: 46).

في حين أنّ الهجوم على بجاية كان في الصباح الباكر على ما ذكره ابن عذاري، كما أنّ والي بجاية "أبو الربيع سليمان الموالي للموحدين حينها كان في طريقه إلى مراكش، ولما وصلت أخبار بني غانية وهجومهم على بجاية رجع أدراجه وكانت لديه من القوة حوالي ثلاث مائة (300) فارس، كما استتفر ألف (1000) فارس من عرب تلك النواحي لمواجهة بني غانية، ولما كانت المواجهة انهزم والي بجاية الموحدي وقتل معظم رجاله، كما انحاز العرب الذين كانوا برفقته إلى بني غانية، وفر أبو الربيع إلى تلمسان حيث احتم عند واليها الموحدي أبي الحسن بن أبي حفص، فتم تحصين المدينة وترميم أسوارها (غرداين، 2015: 85).

ومهما يكن من أمر فإنه بعد هذه الموقعة توسع بنو غانية في المغرب الأوسط واستولوا على مدن عديدة من ذلك، قلعة بني حماد ومدينة الجزائر ومليانة وأشير، وقسنطينة التي استمات أهلها في الدفاع عنها (عز الدين، 1983: 101)، إلى أن تمكن الموحدون بقيادة أبي زيد بن أبي حفص ابن عم الخليفة المنصور من استرداد مدن المغرب الأوسط

التي أخذها بنو غانية على رأس جيش قوامه عشرون ألف يتقدمهم الأسطول البحري(غرداين، 2015: 86). ومن ثم تمّ دحرهم إلى بلاد الجريد حيث سيكون لهم بعد ذلك أمر آخر، فقد حشدوا الصفوف وعقدوا الأحلاف من خلال تعاونهم مع الأغزاز(الغز)(أنظر التعليق رقم: 14) والمصريين والعرب الهلاليين للقضاء دولة الموحيدين(عز الدين، 1983: 100 -101).

وتذكر المصادر أن بني غانية تحالفوا سنة 581هـ/1185م مع حاكم مصر قرقوش، الذي نزل بقواته في بلدة الحامة من جهات طرابلس بتعداد ستين ألف فارس واتفق الطرفان على قتال الموحيدين معا ثم اقتسام البلاد بينهما نصفين، فالبلاد الواقعة غربي بونة أي المغرب الأوسط والأقصى من حق بني غانية، أما البلاد الواقعة شرقي بونة من حق قراقوش(طويلب، 2017: 112).

يقول ابن خلدون أنّ بني غانية لما زحفوا من ميورقة نحو إفريقية تحالفت معهم الكثير من القبائل الهلالية: "اجتمع إليه ذؤبان العرب من الهلاليين بإفريقية، وخالفهم زغبة...، وتحيزوا إلى زنانة المغرب الأوسط..." وكان بنو غانية وحلفائهم من ذؤبان العرب يغيرون على ضواحي تلمسان وبلاد زنانة بالمغرب الأوسط، فألحقوا الخراب والدمار بالكثير من المدن كتاهرت وأرشكول (رشقون) وغيرها... "وتخطف الناس من السابلة وتخريب العمران ومغالبتهم حاميتها من عساكر الموحيدين مثل قصر عجيسة والخضراء وشلف ومتيجة وحمزة..."(ابن خلدون، ع، د.ت: 1845).

كان للحرب بين الموحيدين وبنو غانية نتائج وخيمة على الطرفين شملت جميع الميادين، استفاد منها بالدرجة الأولى النصارى الذين تمكنوا من انتزاع الأندلس من بين أيديهم وتركوهم متطاحنين في بلاد المغرب الإسلامي. أما في بلاد المغرب الأوسط فكان لها نتائج اقتصادية واجتماعية وحضارية منها: خراب الكثير من المدن والمراكز التجارية من موانئ وأسواق وتعطل الحركة التجارية بداية من بجاية التي كانت مركزا تجاريا هاما في حوض المتوسط(هرياش، د.ت، 123-124).

انتقلت الحرب من بجاية إلى مناطق هامة من بلاد المغرب الأوسط، كانت بمثابة عصب اقتصادي هام باعتبارها مناطق زراعية وصناعية وتجارية، وقد تحالف مع بني غانية في حربهم ضد الموحيدين مع الكثير من القبائل الهلالية(هرياش، د.ت، 124)، واستولوا على أموال الموحيدين وممتلكاتهم في بجاية وفي كل المدن التي دخلوها ووزعوها على الجند وعلى العرب الموالين لهم(غرداين، 2015: 85) مما ترتب عنه نتائج اجتماعية وخيمة منها: انعدام الأمن وكثرة القتل، فمات خلق كثير من السكان في بجاية ومدن المغرب الأوسط(هرياش، د.ت، 124)، على يد بني غانية وعلى يد الموحيدين كذلك، لاسيما ممن كان مواليا لبني غانية. واشتدت وطأة الموحيدين على أهل بجاية فلم يفرقوا ما بين العامة وأهل العلم والأئمة(غرداين، 2015: 86-87). كما رافق القتل عمليات السلب والنهب والاستيلاء على الأموال والممتلكات. وحسب رواية ابن عذاري: "عجز سكان بجاية حتى في تكفين موتاهم جراء ما ألحقته بهم الحرب من خراب وويلات". وانتشرت المجاعات والأوبئة

والأمراض، وفي الوقت نفسه أزهق بنو غانية وحلفائهم السكان بالضرائب الباهظة المحففة" (هرياش، د.ت، 125 -126).

وترتب عن هذه الحرب أيضا عودة الصراع القبلي بين البربر المصامدة (أنظر التعليق رقم: 15) المواليين للموحدين وزناتة بني عبد الواد، وبعثت الحرب بن الطرفين ذلك الصراع المذهبي الذي أذكاه المهدي بن تومرت سابقا بين المصامدة والمرابطين، فبرزت عبارات التكفير (الكافر، الفاسق، الفاجر، اللعين) من جديد بين الطرفين واستعملت على المنابر وفي الخطب وساحات المعارك (هرياش، د.ت، 125 -126). حيث يذكر أن علي بن غانية لما رجع من معركته ضد والي بجاية، أقام بها وصلى فيها الجمعة فقطع الخطبة للموحدين وخطب لبني العباس وأمر بذلك في كافة البلاد التي استولى عليها، وكان خطيبه الإمام الفقيه "أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الأزدي الإشيلي - مؤلف كتاب الأحكام وغيره من التأليف (أنظر التعليق رقم: 16)، وكان من جملة ما ذكره الخطيب وأزعج الموحدين كثيرا (غرداين، 2015: 85): "الحمد لله الذي أعاد الأمر إلى نصابه وأزاله من أيدي غصابه" (الغريبي، 1979: 46).

4- أطماع بنو مرين في المغرب الأوسط وصراعمهم مع بني زيان:

في سنة 668هـ 1269م، تمكن بنو مرين الوطاسيون من قبائل الزناتة البربرية من الاستيلاء على مراكش عاصمة الموحدين ومن ثم تأسيسهم لدولة حملت اسمهم في المغرب الأقصى، وكانوا قبل هذا التاريخ يتمركزون بين فكيك جنوبا ونهر ملوية شرق المغرب الأقصى، إذ كانوا على تماس مع حدود المغرب الأوسط، وعن سبب تواجدهم

بهذه المناطق. يذكر ابن زرع الفاسي(ت741هـ/1340م) أنهم كانوا على عداوة قديمة مع بني عبد الواد، وكانت بينهم حروب ومعارك(عامر، 2003: 73 -92)، فكان كل منهما يطمح لرئاسة قبيلة زناتة التي هي أصل كل منهما. وقد أشار ابن خلدون إلى هذه العداوة بقوله: "كان بين هذين الحيين، يقصد بني مرين وبني زيان، من المناغاة والمنافسة منذ الآماد المتطاولة بما كانت مجالات الفريقين بالصحراء المتجاورة"، "ولما انتقلوا إلى التلال وتغلبوا على المغرب الأقصى والأوسط لم تزل فتنتهم وأيام حروبهم فيها مذكورة"(غومة، 2016: 38 -39). وقبل مواجهتهم للموحدين كان المرينيون بعيدين عن نفوذ السلطة الموحدية ومركز حكمهم، فلم يؤدوا لها الإتاوات ولم يدخلوا تحت طاعتها(عامر، 2003: 73 -92). وعلى ما ذكره ابن أبي زرع الفاسي: "كان بنو مرين أهل تصميم وصحة ويقين، يسكنون بلاد القبلة من زاب إفريقية إلى سجلماسة، ويتنقلون في تلك البراري والقفار، ولا يؤدون لأمرها درهما ولا دينارا، ولا يدخلون تحت حكم سلطان ولا يرضون بذل ولا هوان..."(ابن أبي زرع، 1972: 281 -282). ومارسوا على أراضيها الغارات والقنص لاسيما في فصلي الربيع والصيف(عامر، 2003: 73 -92). "لا يعرفون الحرث والتجارة، ولا يشتغلون بغير الصيد وطراد الخيل والغارة..."(ابن أبي زرع، 1972: 282 -284). وقد أظهروا عداؤهم للموحدين منذ البداية من عهد عبد المؤمن بن علي، ومع ضعف السلطة المركزية الموحدية وبحلول سنة 610هـ/1213م زحفوا نحو المغرب الأقصى واستولوا على الأراضي الخصبة فيه دون أن يعترضهم أحد(عامر، 2003: 73 -92).

لكن المرينيين ومنذ سنة 613هـ/1216م اصطدموا بالموحدين بقيادة الخليفة يوسف المستنصر الذي عزم على استئصال شأفتهم من المغرب الأقصى، فاشتعلت بينهم معارك دامية أكبرها الهزيمة التي ألحقوها بالموحدين بوادي النكور، فترجع الموحدون إلى فاس وتقدم المرينيون للاستيلاء أراض جديدة من بلاد المغرب الأقصى وتوسيع سلطانهم فيها، للتوالى هزائم الموحدين وحلفائهم من القبائل العربية على يد المرينيين حتى تمكن المرينيون من احتلال فاس سنة 646هـ - 1249م (عامر، 2003: 100 -106). وبعدها بثلاثين سنة على ذكره ابن خلدون تمكن المرينيون من السيطرة على عاصمة الموحدين مراكش، وتثبيت أركان الدولة، فدانت بذلك بلاد المغرب الأقصى لهم (عامر، 2003: 114 -115).

والجدير بالذكر أن الموحدين كانوا يواجهون تقدم المرينيين تجاههم بتحالفهم من حين لآخر مع الزيانيين لما علموا لما بينهم من خصومات وصراع، ولقد ظلت الدولة الموحدية تتحكم في تسيير العلاقة السياسية بين الزيانيين والمرينيين إلى آخر أيامها "غومة، 2016: 39).

وفي المقابل نجد أن الدولة الزيانية وهي واحدة من القوى السياسية التي قامت في المغرب الأوسط خلال الفترة الممتدة من (633هـ إلى 962هـ/1235م/1554م) ولتعزيز نفوذها في المغرب الأوسط أولا ثم التوسع خارجه ثانيا كان عليها الدخول في مواجهات دامية مع خصومها المرينيين والحفصيين الطامحين هم كذلك إلى مثل هذه الرغبة، غير أن أكثر المتضررين من هذا الصراع كان الزيانيون

والمغرب الأوسط عامة لوقوعه بين قوتين متنافستين الحفصيين شرقا والمرينيين غربا(بلعربي، 2010: 185).

وفي المغرب الأوسط عمل الزيانيون جل جهدهم للظفر بحكم المغرب الأوسط إلى غاية السنوات الأخيرة من عمر الدولة الموحدية التي كانت تحتضر، فلما ضعف أمرها كان الزيانيون يحكمون باسم الموحيدين تلمسان كولات تابعين لسلطانهم، غير أنهم شقوا عصا الطاعة ونبذوا دعوتهم معلنين استقلالهم بالمغرب الأوسط متخذين من تلمسان عاصمة لمملكتهم، حكموها لأزيد من ثلاثة قرون، لكن دولتهم كما أسلفنا كانت معرضة دائما للغارات والغزو من طرف الحفصيين شرقا والمرينيين غربا الذين كانوا أشد بأسا وقوة منهم(بن رمضان، 2011: 62).

ومن أجل الاستئثار ولو بجزء يسير من أراضي الدولة الموحدية خارج حدود المغرب الأوسط، قام الأمير أبو بكر المريني أخو الأمير يعقوب بن عبد الحق المريني على تفويت مخططات الزيانيين في التوسع ووقف في وجه يغمراسن الزياني سنة 655هـ/1257م لإضعافه، فهزمه في موقعة أبي سليط وعلى الرغم من ذلك تحرك يغمراسن باتجاه سجلماسة ودرعة للاستيلاء عليها، غير أن المرينيين سبقوه إلى ذلك (عامر، 2003: 107 -113).

ويظهر أن كلا من الزيانيين والمرينيين حاولا السيطرة على المراكز المهمة في المغرب الأوسط والمغرب الأقصى، فكانت سجلماسة من أهم المراكز وكذلك تلمسان"(غومة، 2016: 40 -41).

ولم تكن هذه الموقعة الأولى أو الأخيرة بين بني زيان والمرينيين فقد التقى الطرفين في معارك كثيرة أشهرها معركة عنيفة في وادي تلاغ بمحاذاة نهر ملوية، هزم فيها الزيانيون سنة 666هـ/1267م، وقتل فيها ولي العهد الزياني أبي حفص عمر بن يغمراسن. وهذا التنافس يدل على رغبة كل طرف في الاستئثار بممتلكات الدولة الموحدية لوحده والهيمنة على تركتها (عامر، 2003: 107 -113). من جهة أخرى أقدم المرينيون على توسيع نفوذهم نحو المغرب الأوسط ووضع حد لسطوة الزيانيين وتأمين حدود دولتهم الشرقية، فأرسل السلطان يعقوب المريني ابنه الأمير عبد الواحد سنة 670هـ/1271م، لغزو تلمسان، لكنه اضطر في الأخير لطلب مهادنة يغمراسن بن زيان للتفرغ لمواجهة الخطر النصراني في الأندلس بعد الاستغاثة التي وصلت المرينيين من ابن الأحمر يسألهم نصرة الإسلام والذود عن المسلمين. وراسل سلطان المرينيين سلطان الزيانيين يغمراسن في طلب الصلح قائلاً له: "إن الصلح خير كله فإن جنح إليه وأنا بفتح حسن، وإن أبى إلا القتال فأسرعوا إلي بالرجوع..." (بلعربي، 2010: 185).

لم يقبل الزيانيون الصلح فكانت النتيجة دخولهما في معركة دامية بوادي إيسلي بالقرب من وجدة سنة 671هـ/1272م هزم فيها الزيانيون وتكبدوا خسائر كبيرة، وزحف المرينيون بعدها نحو وجدة فهدموها ثم توجهوا إلى تلمسان وحاصروها وخربوا أطرافها، فأضعفوها من جميع النواحي البشرية والعسكرية والاقتصادية ثم عادوا أدراجهم (عامر، 2003: 117 -118).

إن رغبة بني مرين في ضم المغرب الأوسط كانت كبيرة، حجتهم في ذلك توحيد المغرب الكبير تحت نفوذهم، ومن ثمّ التفرغ لجهاد الكفار لذلك طلبوا تجديد الهدنة مع الزيانيين سنة 698هـ/1299م، ولما رفض أبي سعيد عثمان بن يغمراسن(681هـ - 703هـ/1282 - 1303م) التجديد توجه السلطان يوسف بن يعقوب المريني صوب تلمسان بجيش جرار، عجز عن دخولها لحصانة أسوارها ومناعتها، لكنه وبالمقابل حصارها وضيق عليها قرابة سبع سنوات (698هـ إلى 706هـ) وبنا بالقرب منها مدينة جديدة في جهة الغرب أطلق عليها اسم (المنصورة) (بلعربي، 2010: 187 - 188). أو تلمسان الجديدة، بحيث أصبح السلطان المريني يستقبل فيها الوفود القادمة من الحجاز ومصر والشام وإفريقية(غومة، 2016: 44).

لقد ترتب عن هذا الحصار إلى جانب احتلال المرينيين جزء معتبر من بلاد المغرب الأوسط وتوسيع حدود مملكتهم الشرقية إلى القرب من تلمسان، ترتب عنه أيضا هلاك مائة وعشرون ألف (120) من سكان تلمسان جراء المجاعة والقتل" (بلعربي، 2010: 187 - 188). وبقي يغمراسن محصورا ذا أرق وحيف، واحتوت مرين على جميع ما بخارجها من القرى والضياع والفواكه والثمر والزروع... فقطعوا الثمار ونسفوا الآبار، وخبروا الربوع، وأفسدوا الزروع ولم يدعوا بتلك الجهات قوت يوم حاشا السدرة والدوم..." (عمارة، 2014: 13).

لقد أثرت تبعات الحصار على الحياة الاجتماعية لسكان تلمسان بما في ذلك الجانب الثقافي، حيث صعب على الناس ممارسة بعض أشكال التعليم نتيجة التضييق المحكم والمستمر على المدينة،

بالإضافة إلى الضغوط العسكرية التي فرضتها السلطة المرينية خارج أسوار تلمسان، مما دفع بالعديد من الطلبة والعلماء إلى الهجرة خارج تلمسان، ومنع الكثير منهم ممن جاء من خارج تلمسان من الدخول إليها". (عمارة، 2014: 14-15).

ولأن الحصار يعتبر أثرا حربيا واضحا في العلاقة السياسية القائمة بين المرينيين والزيانيين، فقد أثرت نتائجه في الكثير من المناسبات لصالح المرينيين، حيث اتبع المرينيون سياسة معينة لإنجاح هذا الحصار وهي القيام بإخضاع المدن الواقعة على المنافذ المؤدية إلى المدينة وقاموا بإعادة ترميمها على غرار ما قاموا به في مدينة ندرومة ووجدة وهنين ووهران ومزغران ومستغانم وتنس وبرشك وشرشال ومازونة والونشريس ومليانة والمدينة وغيرها من المدن بالمغرب الأوسط (غومة، 2016: 38-43). جاء على لسان التتسي قوله: "فاستولى، يوسف بن يعقوب المريني، على جميع أعمال تلمسان ولم يبق له غيرها، فبنى عليها مدينة مسورة وشيد فيها القصور والحمامات والفنادق وضيق بتلمسان تضيقا لم ير مثله..." (التتسي، 2011: 130).

ومنذ خلافة أبي الحسن المريني الذي خلف أباه أبا سعيد على حكم الدولة المرينية (731هـ -741هـ) شرع في تنفيذ سياسة ناجحة ترمي إلى إعادة المغربين الأوسط والأدنى للمغرب الأقصى وتمكن من الاستيلاء على وهران وهنين ومليانة وسائر المدن الساحلية للمغرب الأوسط (عز الدين، 1983: 71).

واستمر الصراع السياسي بين بني مرين وبني زيان حول السيادة وزعامة والسيطرة والنفوذ وكانت نتائجه تتطور دائما إلى صدامات

عسكرية والحصار، يكون فيها النصر في الأخير لصالح المرينيين. حيث استمرت المحاولات المرينية لإطاحة بالزيانيين قرابة القرن من الزمن، وآخرها حصار سنة (735هـ/1334م) انتهى بسقوط تلمسان سنة 753هـ/1352م. وهكذا اضمحلت دولة بني زيان وضعف دورها في المشاركة في الأحداث ببلاد المغرب مؤقتا إلى غاية سنة 759هـ/1357م (غومة، 2016: 38-43)، حيث تمكن بعدها أبو حمو موسى الثاني الأمير الزياني الذي كان لاجئا عند بني حفص بعد استيلاء المرينيين على ملك آباءه من استرجاع تلمسان وإزاحة المرينيين عن المغرب الأوسط بعد معركة فاصلة سنة 759هـ/1358م (بلعربي، 2010: 188)، ليبدأ بذلك عهد جديد في تاريخ الدولة الزيانية وفصل من فصولها لم ينته إلا على يد الأتراك العثمانيين بقيادة الإخوة بربروس.

إن الفترة التي حكم فيها المرينيون المغرب الأوسط على عهد أبي الحسن المريني ومن بعده أبو فارس عنان (753-760هـ/1352-1359) لم تخل من المظاهر الثقافية والعمرانية شهدتها الحواضر الكبرى والمدن الساحلية وفي مقدمة هذه الحواضر تلمسان عاصمة الزيانيين.

وفي هذا الصدد يذكر صاحب المسند الصحيح الحسن عن مآثر أبي الحسن المريني وإنجازاته الحضارية ببلاد المغرب الأوسط قوله أن هذا الأخير منذ أن دان له المغرب الأوسط حتى شرع في تحصين سواحلها بالأبراج وبناء المدارس والجوامع والزوايا والأضرحة: "أنشأ هذا المولى من المحارس والمناظر ما لم يعهد مثله في عصر من الأعصار. وحسبك أن مدينة آسفي وهي آخر المعمورة إلى بلد الجزائر، جزائر بني مزغان آخر الوسطى الغرب وأول بلاد افريقية، محارس ومناظر...

فأمنت السواحل في أيامه السعيدة..."، "وأما ما أنشأه بمدينة تلمسان فيما يرجى من الله إعادة رسمه وتجديد آثاره، فكان مما لم يعهد منه في سالف الأزمان ولا سبق شكله في قواعد البلدان، فمن ذلك جامع القصبة المشتمل على المحاسن التي لم يجتمع مثلها...، أما الجامع الكبير فقد اتفق الرحالون واجمع المتجولون على أنهم لم يروا مثله...". "وأما الجامع الذي بناه على ضريح شيخ المشايخ، وقدوة الأئمة المتأخرين من المتصوفين أبي مدين شعيب بن الحسين، ...، فهو الذي عز مثاله واتصفت بالحسن والوثاقة أشكاله أنفق فيه مقدار جسيما ومالا عظيما، ثم انشأ، ...، في كل بلد من بلاد المغرب الأقصى والأوسط مدرسة..." (ابن مرزوق، 1981: 298-406).

يتضح من سياسة المرينيين في الاهتمام بالعمارات الدينية والتعليمية وكذا رباطات الجهاد محاولة دمج الجانب العمراني ذي الطابع الديني مع الجانب التعليمي والحربي، لذلك اهتمامهم كان منصبا على بناء المساجد والزوايا والمدارس والأضرحة وتحصين الأبراج والأسوار وهذا لإضفاء الشرعية على حكمهم في تلمسان وبلاد المغرب الأوسط عامة، وهي محاولة كذلك لتبرير وجودهم كسلطة محتلة بعاصمة الزيانيين وحواضر المغرب الأوسط الأخرى (عمارة، 2014: 22). كما أن غاية المرينيين من وراء هذا الأمر أيضا، إضفاء طابع حضاري واحد يحمل بصمتهم على كامل بلاد المغرب الإسلامي ومنها المغرب الأوسط.

وللتتويه وحتى لا نبخس الزيانيين حقهم هم كذلك فيما أحدثوه من تحسينات وتجديدات في الثقافة والعمران والمظاهر الحضارية في

المغرب الأوسط لاسيما عاصمة دولتهم تلمسان، فقد تداول ذكرها الكثير من المصادر التي تناولت المآثر الكثيرة لسلاطين بني زيان بمدينة تلمسان والتي أضحت في عهدهم منارة للعلم والثقافة وصرحا للعمارة الإسلامية، منذ عهد يغمراسن بن زيان، وخلال العهد الزياني الأول (العهد العبد الوادي) (633- 737هـ / 1236- 1337م) وكذلك خلال العهد الثاني (العهد الزياني 760- 962هـ / 1359- 155م) (بن رمضان، 2011: 6- 88).

5 -أطماع الحفصيين في المغرب الأوسط وصراعهم مع الزيانيين:

صار الحفصيون ولاية تابعين للدولة الموحدية منذ تنصيب الخليفة الموحي الناصر (595- 610هـ / 1198- 1213م) لأبي محمد عبد الواحد ابن الشيخ أبي حفص على إفريقية كنائب له منذ سنة 603هـ/1206م (غومة، 2016: 44)، نظير جهوده في القضاء على خصوم الموحدين. يذكر ابن خلدون الدور الذي لعبه أبا محمد عبد الواحد ابن الشيخ أبي حفص في القضاء على أتباع ابن غانية سنة 602هـ/1205م، بعد حصاره المهدية: "وكان ذلك مما حمل الناصر على ولاية الشيخ أبي محمد بإفريقية" (ابن خلدون، ع، د. ت: 1697). ومنذ ذلك الوقت حكم الحفصيون تونس إلى غاية استقلالهم بها مباشرة بعد ضعف الحكم الموحي، وبدا اهتمام الحفصيين في الاستقلال بتونس عن الدولة الموحدية منذ تولي أبو زكريا يحي الذي كان من الطامعين في الانفصال نهائيا عن الدولة الموحدية، وزادت أطماعه بعد هزيمة الموحدين في موقعة العقاب سنة 609هـ/1212م، ليتم الانفصال نهائيا سنة 626هـ/1228م لذرائع مختلفة اختلقها الحفصيون كانت حجتهم في الانفصال، من ذلك خروج

الخليفة الموحيدي عن تعاليم المهدي بن تومرت المذهبية(غومة، 2016: 44 - 45).

ومنذ هذا التاريخ عملت السلطة الحفصية في تونس على توسيع نفوذها وضم بقية التركة الموحدية في بلاد المغرب الإسلامي، وهنا يأتي المغرب الأوسط في صدارة اهتماماتها بحكم الجوار، باسم الشرعية الموحدية، على اعتبار أن الحفصيين يشكلون امتدادا للعرش الموحيدي(بوداود، 2005، 191).

وعليه فإن أول ما قام به الحفصيون في هذا الأمر، استيلائهم على قسنطينة إحدى الحواضر الكبرى بالمغرب الأوسط سنة 626هـ(بن عمر، د. ت: 51). يصف ابن خلدون خبر ضم قسنطينة لسلطة الحفصيين بقوله: "لما استقل الأمير أبو زكريا بتونس، وخلع بني عبد المؤمن، ونهض إلى قسنطينة سنة 626هـ فنزل بساحتها وحاصرها أياما، ثم أمكنه ابن علناس في شأنها وأمكنه من غرتها فدخلها، وتقبض على واليها"(ابن خلدون، ع، د. ت: 1701). ولأهميتها أصبحت قسنطينة عاصمة إقليمية للدولة الحفصية، وكانت مكانتها قريبة من مكانة بجاية وتلمسان، بل أصبحت قاعدة حفصية ثانية بعد مدينة تونس، والعمق الاستراتيجي والاقتصادي للسلطة الحفصية في الجهة الغربية وإحدى قلاعها العسكرية المنيعة. ازدادت الحياة الثقافية فيها نشاطا، وتنافست فيها البيوتات في طلب العلم حتى لا تكاد تفرق بين بيت وآخر في المكانة العلمية، وهاجر إليها العلماء والفقهاء من بجاية وغيرها من الحواضر، وشيد بها أمراء بني حفص وفي مقدمتهم أبي زكريا يحي

الجوامع والمدارس وحصنوا أسوارها وأبراجها كجامع القصبة والجامع الكبير والمدرسة الجديدة وسور القصبة (بن عمر، د. ت: 51 -60).
عموما فإن الحفصيين حاولوا من خلال توسعهم في بلاد المغرب الأوسط إضفاء الطابع الحضاري الخاص بهم مع إضفاء الشرعية الدينية على الأهداف السياسية، شأنهم في ذلك شأن الزيانيين والمرينيين.

لم يجد الحفصيون مانعا من تحقيق مبتغاهم في التوسع غربا من التحالف مع المرينيين الذين كانوا يطمحون لنفس الهدف، وكان الزيانيون حكام المغرب الأوسط عائقا أمام تقدمهم وعدو مشترك لهم، ففي الوقت الذي استتجد الزيانيون على عهد (عثمان بن يغمراسن) بأمير بجاية الموحي محمد بن المستنصر أبي عصيدة (أنظر التعليق رقم: 17) عندما ضرب المرينيون حصارهم على تلمسان، قام الحفصيون بإغارة على بجاية لضمها لسلطانهم منذ سنة 628هـ (غومة، 2016: 45). وهكذا صارت بجاية تابعة للدولة الحفصية منذ هذا التاريخ، وعين أبي زكريا ابنه يحيى واليا على بجاية (سيدي موسى، د. ت: 69). "وعقد مرجعه من المغرب (أبو زكريا يحيى) لابنه الأمير أبي يحيى زكريا على بجاية وأنزله بها، واستوزر له يحيى بن صالح بن إبراهيم الهنتاتي وجعل شواره لعبد الله بن أبي تهدي، وجبايته لعبد الحق بن ياسين، وكلهم من هنتاتة، وكتب إليه بوصيته مشتملة على جوامع الخلال في الدين والملك والسياسة... (ابن خلدون، ع، د. ت: 1701).

يذكر أن الحفصيين كان لهم عهد ببجاية منذ سنة 601هـ، عندما نصب السلطان الموحي الناصر بن المنصور "أبا محمد بن عبد

الوهاب بن أبي حفص واليا عليها، ونظرا لأهمية مدينة بجاية الاستراتيجية، فقد أولى لها الحفصيون اهتماما خاصا، فهي تعتبر ثغرا هاما في الجهة الغربية (سيدي موسى، د.ت: 69).

صار التحالف الحفصي، المريني شيئا مألوفا في هذه الفترة، حيث نجد السلطان المريني يوسف بن يعقوب يطلب المساعدة من الأسطول الحفصي للإغارة على القواعد البحرية التابعة للدولة الزيانية في كل من هنين ووهران، وتطورت العلاقة بين الحفصيين والمرينيين بشكل جدي من تعاون في مواجهة الزيانيين إلى مصاهرة سياسية، عندما تزوج الأمير أبي الحسن (ابن السلطان المريني أبي سعيد) من فاطمة ابنة السلطان الحفصي أبي بكر بعد الخوف الذي انتاب الحفصيين جراء التهديد الزياني الذي طال عاصمة الحفصيين تونس في وقت سابق، عندما سيطر الزيانيون عليها، وفرّ السلطان الحفصي أبا بكر منها يستجدي النجدة من المرينيين الذين لم يتأخروا في تقديم العون للحفصيين في استرجاعهم لعاصمتهم (غومة، 2016: 46). كما لم يتأخر المرينيون بقيادة أبي الحسن المريني في توجيه حملة عسكرية نحو بجاية سنة 732هـ عندما أقدم الزيانيين للسيطرة عليها، فوجدت السلطة الحفصية الدعم من طرف المرينيين في إبقاء بجاية تحت سلطانها (بوداود، 2005، 192).

إن الرغبة الجامعة التي تملكت الحفصيين في الاستيلاء على المغرب الأوسط كانت كبيرة وذلك منذ عهد السلطان الحفصي أبي زكريا يحي الذي نجده بعد أن ضم قسنطينة وبجاية إلى سلطانه يوجه حملاته غربا على أمل السيطرة على تلمسان عاصمة الزيانيين: "لما

استقل الأمير أبو زكريا بإفريقية وخلع طاعة بني عبد المؤمن... فخرج من تونس سنة اثنين وثلاثين وستمائة (632هـ) يؤم بلاد زناتة بالمغرب الأوسط ... ثم ارتحل إلى الجزائر فافتتحها وولى عليها. ثم نهض منها إلى بلاد مغراوة (أنظر التعليق رقم: 18) فأطاعه بنو منديل بن عبد الرحمن (أنظر التعليق رقم: 19)، وجاهر بنو توجين (أنظر التعليق رقم: 20) بخلافه، فنزل البطحاء وأوقع بهم، وتقبض على رئيسهم عبد القوي بن العباس فاعتقله، وبعث به إلى تونس ودوخ المغرب الأوسط وقفل راجعا. (ابن خلدون، ع، د. ت: 1701). غير أن أول حملة سيرها الحفصيون إلى تلمسان كانت سنة 639هـ أوائل 640هـ قادها السلطان الحفصي أبي زكريا يحي بنفسه على رأس جيش كبير، انتهت بحصار المدينة وإبرام الصلح مع يغمراسن الذي طلب الدخول تحت راية الحفصيين وتبعية المغرب الأوسط لهم. وظل هذا الصلح قائما والدعوة لبني حفص على تلمسان محترمة إلى أن عطلها عثمان بن يغمراسن (681هـ - 703هـ)، مما سيؤدي إلى تدهور العلاقات مجددا بين الزيانيين والحفصيين، لتتوالى الحملات العسكرية الحفصية على تلمسان مرارا وتكرارا في السنوات 827هـ و832هـ و835هـ و866هـ و870هـ (بوداود، 2005، 192-193).

جاء عند ابن خلدون في تاريخه ما نصه: "كان الأمير أبو زكريا منذ استقل بأمر إفريقية واقتطعها عن بني عبد المؤمن، ...، متطاولا إلى ملك مراکش والاستيلاء على كرسي الدعوة. وكان يرى أن بمظاهرة زناتة له على شأنه يتم له ما يسمو إليه من ذلك، فكان يداخل أمراء زناتة فيه ويرغبهم ويراسلهم بذلك على الأحياء من بني

مرين وبني عبد الواد وتوجين ومغراوة. وكان يغمراسن منذ تقلد طاعة آل عبد المؤمن أقام دعوتهم بعمله متحيزا إليهم سلما لوليهم وحرىا على عدوهم... وبينما هو على ذلك (أي أبو زكريا) إذ وفد عليه عبد القوي أمير بني توجين وبعض ولد منديل بن عبد الرحمن أمراء مغراوة صرخا على يغمراسن فسهلوا له أمره، وسولوا له الاستبداد على تلمسان. وجمع كلمة زناتة،...، ونهض سنة ستمائة وتسع وثلاثين في عساكر ضخمة وجيوش وافرة،...، وأحياء زغبة وأحلافهم من العرب... حتى نازل تلمسان بجميع عساكر الموحدين وحشود زناتة وظعن العرب بعد أن كان قدم إلى يغمراسن الرسل من مليانة بالأعذار والدعاء إلى الطاعة فرجعهم بالخبيبة، ولما حلت عساكر الموحدين بساحة البلد... وسرح يغمراسن الغارات في نواحي المعسكر فاخطف الناس من حوله، واطلعوا من المراقب عليه. ثم بعث وفده متطارحين على السلطان في الملامة والاتفاق" (ابن خلدون، ع، د.ت: 1704 - 1705).

يتضح من خلال كلام ابن خلدون في الفقرة الأخيرة أن المغرب الأوسط والأدنى عرفا تحولات جيوسياسية هامة خلال القرن السابع الهجري، حيث كشفت هذه التحولات عن الطموح السياسي للأمير أبي زكريا الحفصي للاستيلاء على عرش الموحدين في مراكش. ويوضح النص استراتيجة أبي زكريا في توظيف القوى الزناتية (بني مرين وبني عبد الواد) كأداة لتفكيك سلطة الموحدين، مستغلاً الخلافات الداخلية كما في حالة قدوم وفد بني توجين والمغراوة. كما تُبرز الرواية اندلاع الصراع المباشر في عام 639هـ عندما قاد أبو زكريا

حملة واسعة ضد يغمراسن الزياتي، مُظهرةً تعقيد العلاقات بين الحفصيين والزيانيين في سياق تراجع الدولة الموحدية.

انتهج الحفصيون في حملاتهم على المغرب الأقصى تقريبا نفس الإستراتيجية التي انتهجها المرينيون، إذ كانوا حلفائهم في حملات عديدة، وكانت هذه الحملات يتبعها حصار للمدن لفترة طويلة ترتب عنها المجاعات وهلاك الناس وخراب المدن، وانتشار أعمال النهب والسرقة، ودمار المزروعات والبساتين والآبار وعيون المياه وتعطيل الإنتاج، وصار هذا الوضع جزء من الحياة اليومية لسكان المغرب الأوسط سواء في المدن أو الأرياف(بوداود، 2005، 192 -193).

خاتمة:

كان المغرب الأوسط أكثر تأثرا بالصراع بين القوى المغاربية بسبب الضغط المستمر الذي مارسه الحفصيون من الشرق والمرينيون من الغرب، وظلت حدوده الجغرافية والسياسية تعرف مدا وجزرا تباعا لذلك.

كما انجر عن هذا الوضع ظهور الثورات المضادة والتمردات والحركات الانفصالية كانت تقودها بعض القبائل التي كانت تبحث لنفسها عن مكانة في وسط هذه الفوضى. هذا وكانت الدولة الموحدية في وقت سابق قد عرفت كيف تضبط وتتحكم في الكثير من القبائل خاصة الهلالية منها. فتحكمت فيها وأخضعتها إلى سلطانها وكسرت شوكتها وعصبيتها وضبطت مجال تحركها، ومع نهاية حكمها عادت هذه القبائل لتتشر الفوضى والخراب خاصة في المغرب الأوسط، فتارة تتحالف مع ابن غانية انتقاما من الموحيدين وتارة

مع الحفصيين والمرينيين وتارة أخرى مع الزيانيين، وفي كل الأحوال كان المغرب الأوسط ساحة معارك وحروب طاحنة طويلة أهلكت الحرث والنسل وخربت العمران وأشعلت النعرات القبلية والمذهبية والأحقاد القديمة على الرغم من بعض المظاهر الحضارية من معالم دينية وتعليمية وعسكرية التي خلدها بعض السلاطين والحكام، وهذا الوضع ظل قائماً إلى غاية زوال سلطان الدول المغاربية الثلاث المتصارعة. وكان المستفيد الأكبر النصارى الذين جثموا على سواحل ومدن الساحل المغربي. وبدلاً من توحيد الجهود لمواجهتهم تشتت قوى الدول المغاربية وانهارت في سبيل القضاء على بعضها.

التعليقات:

1 -الدولة الحمادية: دولة صنهاجية بربرية انفصلت عن الزيبيين وقامت في المغرب الأوسط (الجزائر حالياً) بين عامي 408هـ/1015م و547هـ/1152م أسسها حماد بن بلكين، وكانت عاصمتها الأولى قلعة بني حماد، ثم تحولت إلى بجاية، واستقلت بالدعوة للعباسيين في مواجهة الفاطميين (ابن خلدون، ع، 1988، 164).

2 -بلكين بن محمد بن حماد: رابع أمراء الدولة الحمادية الصنهاجية في قلعة بني حماد، حكم من 447 هـ إلى 454 هـ (1055 -1062م). كان معروفاً بالشجاعة والصرامة والبطش. في عهده، توسعت الدولة الحمادية غرباً حيث غزا فاس (في المغرب الأقصى) وأخضعها لنفوذه. قُتل غيلة على يد ابن عمه الناصر بن علناس. (ابن خلدون، ع، 1988، 316).

3 -جبل هواره: هو اسم يطلق على مرتفعين جغرافيين على الأقل، ويرتبط تاريخياً بقبيلة هواره الأمازيغية الواسعة الانتشار:

- الموقع الأول: هو أحد الجبال البارزة في ولاية قلمة بالجزائر، ويصل ارتفاعه إلى حوالي 1,292 متراً.

- الموقع الثاني (جبل بني راشد/هواره): يشير أيضاً إلى جبل تاريخي في المغرب الأوسط (الجزائر حالياً)، وتحديداً في منطقة القلعة (قلعة بني راشد)، وقد استوطنته قبيلة هواره في العصر الوسيط. ارتبط اسمه بالقلعة الحصينة التي كانت مقراً لقبائل أمازيغية متفرقة.
- قبيلة هواره: هي إحدى القبائل الأمازيغية الكبرى التي سكنت مناطق واسعة من ليبيا إلى المغرب وإفريقية (تونس) والأندلس، وقد لعبت دوراً سياسياً ودينياً مهماً في تاريخ المنطقة. (قناة، حقائق تاريخية، جوان، 2023). أما "سيك" و"سيرات" فمن المرجح أن تكون إما أسماء لأماكن تاريخية أو تحريفاً لأسماء مدن ومواضع معروفة في المغرب العربي، وربما تكون جزءاً من أسماء مركبة:
- سيك (Sig): قد يُقصد بها مدينة سيق الواقعة حالياً في ولاية معسكر بالجزائر، وهي مدينة ذات أهمية زراعية.
- سيرات (Sérat): هذا الاسم أقل شيوعاً في المصادر التاريخية الكبرى، ولكنه قد يشير إلى: مرتفع جغرافي أو منطقة في تونس أو الجزائر تحمل هذا الاسم أو اسماً قريباً منه. أو قد يكون جزءاً من سياق تاريخي محلي لم يتم ذكره بالتفصيل في المصادر (قناة، حقائق تاريخية، جوان، 2023).
- 4 - بني ومانو: فرع من قبائل أمازيغية زناتية (قيل إنهم من مغراوة أو بنو يلومي أنفسهم). استوطنوا مناطق واسعة في بلاد الزاب والمغرب الأوسط، وكانوا يتميزون بالقوة العسكرية ولعبوا أدواراً متقلبة في الصراعات بين الزيانيين والحفصيين في العصر الوسيط (ابن خلدون، ع، 1988، 100). أما بني يلومي: فهي قبيلة أمازيغية زناتية تنتمي إلى فروع مغراوة، كانت لها سلطة ونفوذ في بلاد الزاب وما جاورها، وتحديداً في منطقة بسكرة. حكمت هذه القبيلة أجزاء من الزاب واستقلت بها زمناً عن الحكم المركزي في إفريقية أو تلمسان. (ابن خلدون، ع، 1988، 78).
- 5 - المنصور بن الناصر: الأمير السادس 498 - 481هـ (1088 - 1105م)، أكمل نقل عاصمة الدولة بشكل نهائي من "قلعة بني حماد" إلى بجاية (التي أصبحت

تُعرف باسم بوجي أو بجاية)، بسبب تهديدات القبائل البدوية، اهتم بالعمارة في بجاية، فبنى جامع بجاية الأعظم وشيد القصور والحدائق، واستمر عهد الدولة في الازدهار الحضاري (ابن عذاري، د. ت، 75 -79). أما الناصر بن علناس: فهو الأمير الخامس من أمراء بني حماد (454 -481هـ (1062 -1088م)، بدأ في تأسيس مدينة بجاية (الناصرية) واتخذها عاصمة ثانية للدولة، وبنى فيها القصور والمباني العظيمة مثل "قصر اللؤلؤة"، بلغت الدولة في عهده أقصى اتساعها وتقدمها الحضاري، قام بصد غزوات المرابطين في جهة الغرب من بلاد المغرب الأوسط. (ابن خلدون، ع، 1988، 196 -200).

6 - بنو هلال قبيلة عربية قيسية مضرية كبيرة، قَدِمت من نجد وشبه الجزيرة العربية. نُقلت قسراً من مصر إلى شمال إفريقيا بأمر من الفاطميين حوالي عام 440هـ (1048م) لمعاقبة الدولة الزيرية في إفريقيا. لعبت دوراً حاسماً في إضعاف الدول الصنهاجية (الزيرية والحمادية) وتغيير التركيبة السكانية والاجتماعية في المغرب الإسلامي. أما بنو رياح أحد الفروع الكبرى والأقوى لقبيلة بني هلال التي هاجرت إلى شمال إفريقيا. استوطنوا مناطق واسعة في المغرب الأوسط (تونس والجزائر حالياً)، واشتهروا بقوتهم العسكرية، مما جعلهم قوة سياسية فاعلة اعتمدت عليها أو تحاربت معها الدول المتعاقبة مثل الحفصيين الموحدين (ابن خلدون، ع، 1988، 20 -40).

7 - روجر الثاني (Roger II) مؤسس مملكة صقلية النورماندية وأول ملوكها (حكم 1130-1154م). كان من سلالة هوتفيل النورماندية، وحّد جنوب إيطاليا وصقلية تحت سلطة مركزية واحدة بعد الاستيلاء على المناطق الإسلامية (صقلية) والمناطق البيزنطية. اشتهر بالتعايش الثقافي والديني في بلاطه بين اللاتين، البيزنطيين، والمسلمين، واعتمد على الإدارة العربية في دولته. (الريس، 1978، 350 -365).

8 - أبو القاسم أحمد الغبريني (ت. 704هـ/1304م)، فقيه مالكي، مؤرخ، وأديب من أهل بجاية (في المغرب الأوسط). وهو صاحب كتاب "عنوان الدراية"، الذي

يُعد أهم مصدر لدراسة الحركة العلمية والعلماء والأدباء في بجاية خلال القرن السابع الهجري (فترة الحكم الحفصي والزياني) (الغبرني، 1982، 15).

9 - مؤلف مجهول، يُرجح أنه عاش في القرن 6 هـ/12م، هو جغرافي ومؤرخ مغربي مجهول الاسم، لكنه اشتهر بكونه مؤلف كتاب "الاستبصار في عجائب الأمصار". يُعد الكتاب من أهم مصادر الجغرافيا التاريخية للمغرب والأندلس وإفريقية (تونس)، ويحتوي على معلومات قيمة عن المدن والمواقع في تلك الفترة. (مؤلف مجهول، 1986، 31).

10 - المعز بن باديس (ت. 454 هـ/1062م)، الرابع من أمراء الدولة الزييرية الصنهاجية في إفريقية (تونس). حكم من 406 هـ (1016م). يُعد عهده الأكثر أهمية تاريخياً لأنه قطع طاعة الفاطميين (عام 439هـ)، وأعاد الدعوة للخليفة العباسي، مما أدى إلى غضب الفاطميين الذين دفعوا قبائل بني هلال وسُليم للهجرة من مصر إلى إفريقية (عام 440هـ) (ابن خلدون، ع، 1988، 16 - 20).

11 - ابن سيدهم قائد عسكري زناتي، قاد مجموعة كبيرة من قبائل زناتة التي كانت تدين بالمذهب المعتزلي، أو الصفري في بعض الروايات ضد الإباضية. كان من أبرز القادة الذين حاربوا الرستميين، وتمكن من هزيمتهم في عدة مواقع والسيطرة على مناطق تاهرت، مما أدى إلى إضعاف الدولة الرستمية قبل سقوطها النهائي على يد الفاطميين (ابن خلدون، ع، 1988، 108 - 110).

12 - جبل نفوسة أو جبال نفوسة: سلسلة جبلية تقع في الشمال الغربي من ليبيا (جنوب غرب طرابلس). يسكنها قبائل نفوسة الأمازيغية. يُعد هذا الجبل قلعة حصينة ومركزاً رئيسياً للمذهب الإباضي في شمال إفريقيا منذ العصر الإسلامي المبكر، وله دور كبير في دعم قيام الإمامة الرستمية في تاهرت (ابن خلدون، ع، 1988، 105).

13 - أبو الحسن علي بن محمد الماوردي (ت. 450 هـ/1058م)، فقيه شافعي، قاضي، وعالم سياسي عراقي، عاصر الدولة العباسية البويهية والسلاجقة. يُعد من أهم المنظرين للفقه السياسي الإسلامي. أشهر كتبه هو "الأحكام السلطانية

والولايات الدينية"، الذي يحدد فيه قواعد الحكم والسلطة، وواجبات الخليفة والوزراء (الموردي، 2006، 5).

14 -الأغزاز (الغُرّ): قبائل تركية بدوية الأصل من آسيا الوسطى، وهم فرع رئيسي من قبائل الترك الأوغوز(Oghuz). اعتنقوا الإسلام تدريجياً، وعُرفوا في المصادر العربية بـ "الغُرّ". لعبوا دوراً بارزاً كقوة عسكرية، وقد انخرطوا في خدمة الخلفاء العباسيين (خاصة كجنود مرتزقة)، ثم أسسوا دولاً كبرى لاحقاً مثل الدولة السلجوقية، وكانوا سبباً في إضعاف الخلافة العباسية تدريجياً(ابن الأثير، 1965، 89- 95).

15 -المصامدة (Masmuda) من أكبر فروع القبائل البربرية (الأمازيغية) الرئيسية، إلى جانب صنهاجة وزناتة. كان موطنهم الأصلي هو جبال الأطلس الكبير والمغرب الأقصى، اعتمد عليهم المهدي بن تومرت (المؤسس الأيديولوجي) لدولة الموحدين، وعبد المؤمن بن علي (المؤسس الفعلي) لتكوين النواة العسكرية والدينية لحركة الموحدين والدولة التي تلتها. (ابن خلدون، ع، 1988، 167- 170).

16 -أبو محمد عبد الحق الإشبيلي (ت. 581هـ/1185م)، إمام حافظ، فقيه مالكي، ومُحدث أندلسي من إشبيلية. اشتهر بعلمه الواسع في الحديث ورجاله. مؤلفه الأشهر هو كتاب "الأحكام الشرعية الكبرى"، أو "الأحكام" اختصاراً، الذي يُعد من أمهات كتب أحاديث الأحكام، واعتنى فيه بذكر الأحاديث الصحيحة والحسنة والضعيفة مع النقد والترجيح(الذهبي، 1985، 162- 165).

17 -أبو عسيده محمد بن المستنصر (ت. 709هـ/1309م)، الخليفة الرابع للدولة الحفصية، تولى الحكم في الفترة التي أعقبت وفاة والده المستنصر. شهد عهده اضطرابات داخلية وصراعات على السلطة بين فروع الأسرة الحفصية، لكنه استطاع أن يحافظ على نفوذ الدولة. اشتهر بالورع والتدين. وفي عهده، استتجد به الموحدون في الأندلس (بني الأحمر) عدة مرات ضد القشتاليين(ابن خلدون، ع، 1988، 493- 496).

18 -بلاد مغراوة هي مناطق نفوذ وسكنى قبيلة مغراوة، وهي قبيلة بربرية زناتية واسعة الانتشار. كانت مواطنهم الرئيسية تتوزع بين المغرب الأوسط والمغرب الأقصى (خاصة في المنطقة الواقعة بين فاس وتاهرت). أسسوا سلالات حاكمة في مناطق واسعة، أبرزها دولة بني خزر في فاس (في فترات مختلفة من تاريخ المغرب) (ابن خلدون، ع، 1988، 188-190).

19 -بنو منديل بن عبد الرحمن: سلالة فرعية نافذة من قبيلة مغراوة الزناتية الكبرى. اشتهروا كأمراء للزاب وبسكرة وما حولها في المغرب الأوسط، وتحديدًا في فترات ضعف القوى المركزية (الموحدين ثم الحفصيين). لعبوا دورًا متقلبًا في الصراع بين الحفصيين والزيانيين، وكانوا يناصرون الطرف الذي يحقق لهم مصالحهم في السيطرة على بلاد الزاب (ابن خلدون، ع، 1988، 98-100).

20 -بنو توجين، قبيلة بربرية زناتية قوية وواسعة النفوذ، استوطنت أجزاء كبيرة من المغرب الأوسط (غرب الجزائر). اشتهروا بشجاعتهم وقدراتهم القتالية. لعبوا دورًا بارزًا في الصراعات القبلية والسياسية بعد سقوط دولة الموحيدين، وكانوا من أبرز القوى التي تنازعت السيطرة مع بني عبد الواد (الزيانيين) على منطقة تلمسان (ابن خلدون، ع، 1988، 119-125).

قائمة المصادر المراجع:

- 1 -ابن أبي زرع الفاسي علي، (1972)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط، دار المنصور للطباعة والوراقة.
- 2 -ابن الأثير عز الدين، (1965)، الكامل في التاريخ، ج8، دار صادر، بيروت.
- 3 -بخدة الطاهر، (2018)، التحركات والهجرات القبلية والسكانية في المغرب الأوسط خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين/ق10 -11م. منشورات مختبر تاريخ الجزائر، جامعة وهران 1 أحمد زبانة، وهران، دار القدس العربي.
- 4 -بديرة عادل، (2018)، بادية المغرب الأوسط في العصر الوسيط (دراسة للواقع الاقتصادي والاجتماعي وتأثيرها على السلوك والذهنيات من القرن 4 إلى القرن

- 7/13م)، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة.
- 5 - بلعربي خالد، (2010)، "الصراع العسكري الزياني المريني أسبابه ونتائجه"، مجلة الحضارة الإسلامية، المجلد 11، العدد 14، جامعة أحمد بن بلة، وهران، ص: 185 -190.
- 6 -بوداود عبيد، (2005) "تلمسان في مواجهة الحملات الحفصية المرينية"، عصور، المجلد 4، العدد 2، جامعة أحمد بن بلة، وهران، ص: 185 -196.
- 7 -بوزيدي حسين، (2013)، "بلاد المغرب الإسلامي بين التعايش والصراع المذهبي"، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد 11، العدد 1، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، ص: 201 -228.
- 8 -التنسي محمد بن عبد الجليل، (2011)، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، تحقيق وتعليق، محمود آغا بوعباد، الجزائر، موفم للنشر.
- 9 -جودت عبد الكريم يوسف، (د. ت)، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9 -10م)، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، مكتبة طريق العلم
- 10 -ابن خلدون عبد الرحمن، (1988)، تاريخ ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج6، ط2، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر.
- 11 -ابن خلدون عبد الرحمن، (د. ت) تاريخ ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، الأردن، بيت الأفكار الدولية.
- 12 -خير فارس محمد، علي عامر محمود، (1999 -2000)، تاريخ المغرب العربي الحديث "المغرب الأقصى -ليبيا"، سوريا، منشورات جامعة دمشق.
- 13 -الذهبي شمس الدين، (1985)، سير أعلام النبلاء، ترجمة عبد الحق الإشبيلي، ج21، ط3، بيروت مؤسسة الرسالة.

- 14 - الرئيس محمد ضياء الدين، (1978)، تاريخ صقلية في العصر الإسلامي، القاهرة، دار الكتاب العربي.
- 15 - سبع قادة، (2015)، الصراع المذهبي العقدي بالمغرب الإسلامي، أسسه، مجالاته وانعكاساته، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران.
- 16 - سيدي موسى محمد الشريف، (د.ت)، "بجاية من الفتح الإسلامي إلى العهد الحفصي"، الحوار المتوسطي، العدد 1، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، ص ص: 66 - 73.
- 17 - شاوش الحاج محمد بن رمضان، (2011)، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ج 1، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.
- 18 - الصلابي علي محمد، (د.ت) صفحات من تاريخ الإسلامي في شمال إفريقيا، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، د. ط، د. م. ط، المكتبة الشاملة، الإصدار الثالث.
- 19 - الطمار محمد، (2010)، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، سلسلة الدراسات الكبرى، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.
- 20 - طويلب عبد الله، (جانفي 2017)، "بجاية تحت حكم بني غانية"، مجلة القرطاس، العدد 3، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، ص ص: 37 - 44.
- 21 - عامر أحمد عبد الله حسن، (2003)، دولة بني مرين تاريخها وسياساتها تجاه مملكة غرناطة الأندلسية والممالك النصرانية في إسبانيا (668 - 868هـ/ 1269 - 1465م)، أطروحة دكتوراه، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين.
- 22 - ابن عذاري المراكشي، (د. ت) البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب، ج 4، بيروت، دار الثقافة.
- 23 - بن عربية محمد، بوسالم أحلام، (جوان 2020)، "ثروات المغرب الأوسط النباتية والحيوانية خلال العصر الوسيط من خلال مصنفات الرحلة والجغرافيا"،

مدارات تاريخية، المجلد الثاني، العدد2، مركز الفكر والدراسات، الجزائر،
ص ص: 334 -360.

24 -عز الدين عمر أحمد موسى، (1983)، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي،
ط1، القاهرة، دار الشروق.

25 -عمارة فاطمة الزهراء، (2014)، المدارس التعليمية بتلمسان خلال القرنين
(8 -9هـ/ 14-15م)، مذكرة ماجستير، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم
الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة السانبا، وهران.

26 -بن عمر علال، (د.ت)، "قسنطينة في العهد الحفصي، محور الصراع وتنافس
بين دول المغرب الإسلامي"، مجلة معارف للبحوث والدراسات التاريخية، المجلد 1،
العدد، 3، جامعة الوادي، ص ص: 50- 86.

27 -الغبرني أبو العباس أحمد، (1979)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في
المائة السابعة ببجاية، الجزائر، تحقيق وتعليق، عادل نويهض، ط2، بيروت، دار
الآفاق الجديد.

28 -الغبرني أبو العباس أحمد، (1982)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في
المائة السابعة ببجاية، بيروت، ط2، بيروت، دار الغرب الإسلامي.

29 -غرداين مغنية، (جانفي 2015) "بجاية الوجهة الأولى لبني غانية في التوسع
(580 -581هـ/ 1184-1185م)"، مجلة القرطاس للدراسات الحضارية
والفكرية، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، العدد 2، ص ص: 37- 44.

30 -غومة سالم أبو القاسم محمد، (ماي 2016)، "العلاقة السياسية وأثرها
الحربي بين الدولة المرينية ودولتي الزيانيين والحفصيين ببلاد المغرب في العصر
الوسيطة"، مجلة الجامعة، المجلد2، العدد18، الجبل الغربي، ليبيا، ص ص: 37- 58.

31 -قناة، حقائق تاريخية. 26 جوان 2023،

<https://www.youtube.com/watch?v=vcElr9GefBk>

32 -الماوردي أبو الحسن علي، (2006)، الأحكام السلطانية والولايات الدينية،
دار الحديث، القاهرة.

- 33 -مبارك بشير، (2016 -2017)، أدوار المذهب الظاهري بالمغرب الإسلامي من القرن الرابع إلى القرن السابع الهجريين، العاشر الثالث عشر ميلاديين، أطروحة دكتوراه، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجيلالي ليابس، سيدي بلعباس.
- 34 -المدني أحمد توفيق، (2009)، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492 -1792م، ط3، الجزائر، دار البصائر.
- 35 -ابن مرزوق التلمساني، (1981) المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق: ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم محمد بوعباد، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- 36 -مؤلف مجهول، (1986)، الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.
- 37 -هرباش زاجية، (د.ت) " ثورة بني غانية 580هـ /633هـ /1184 -1237م" الحوار المتوسطي، العدد5، جامعة الجيلالي ليابس، سيدي بلعباس، ص ص: 123 -127.
- 38 -ياغي إسماعيل أحمد، (1998)، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، ط2، السعودية، مكتبة العبيكان.

